مجلة مشكلات الحضارة
المجلد 10 العدد السنة 2022 ص ص: 55-74
ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

الحرية إبداع عند روبرت مزراحي

Freedom is creativity by Robert Misrahi

نادية بوجلال*
جامعة الجزائر 02- أبو القاسم سعد الله
nadiaboudjlal2018@gmail.com

تاريخ الاستلام: 02 / 12/ 2021 **تاريخ القبول**: 22 / 03/ 2022

Abstract:

Freedom is a tricky issue that human mind has grappled with since the dawn of time, searching for answers that define their varied relationships, whether with the metaphysical or with the physical. Many questions and problems are interconnected and converge within this multidimensional concept. Its methods of reformulation as well as its production form the basis for asking a wide range of issues within contemporary Arab societies, such as: modernity and justice, freedom of expression and progress... etc.

Questions which correspond to certain realities by virtue of their reference and legacy, appraised by biased evidence impacted by what the West generates, and witnesses of qualitative transformations in individual-group relations. In response, several

* المرسل: نادية بوجلال.

Western political regimes have pushed for individual freedom, such as religious freedom, sexual freedom, freedom of homosexuality, freedom to change faith or sect, and freedom of contempt for religions.

Thus, many modern philosophers living in this terrible reality, notably Robert Misrahi**,** have used this information to enhance the research on freedom, answer its questions, and define it. Robert Misrah**i** is considered as one of the world's foremost libertarian philosophers, and his research is at the forefront. So, in what way did he come up with this philosophy of desire and freedom that violates the ethics of duty, which is on the fringes of all philosophical currents recognized in the twentieth century? And how he built a form of freedom that was guided by the possible — education — as a capacity for creativity.

Key words: Robert Misrahi**,** Freedom ,modernity, individual, education, desire.

ملخص:

إن سؤال الحرية من الأسئلة الشائكة التي طرحها الفكر الإنساني منذ البداية يبحث عن إجابات تحدد علاقاته المختلفة سواء مع الميتافيزيقي أو الفيزيقي الذي يماثله وهي دائما ذات المفهوم المركب المتعدد الأبعاد الذي تلتقي فيه قضايا وإشكاليات متعددة تحيل إلى بعضها البعض بطريقة تفاعلية وتمثل مقارباته وإعادة صوغه وإنتاجه أساسا لطرح أسئلة عدة خاصة في مجتمعاتنا العربية المعاصرة مثل: الحداثة والعدالة، وحرية التعبير والتنمية والتقدم ...إلخ.

المجلد 10 العدد السنة 2022 ص ص: 55-74
ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

أسئلة تلائم واقعا خاصا له مرجعيته وتراثه محكوم براهن متحيز متأثر بما ينتجه الغرب، يشهد تحولا نوعيا في علاقة الفرد بالجماعة ما أدى إلى دعوات الحرية الفردية خصوصا، حرية الدين والمعتقد والحرية الجنسية، وحرية الشذوذ الجنسي، وحرية تغيير الدين أو المذهب، وحرية ازدراء الأديان مع استجابة بعض الأنظمة السياسية الغربية لهذه الدعوات مما ساهم في تصعيد البحث في موضوع الحرية والإجابة عن أسئلتها وتحديد مفهومها، من طرف العديد من الفلاسفة المعاصرين الذين يعايشون هذا الواقع المرير ومن بينهم "روبرت مرزاحي" الذي يعد فيلسوف الحرية بامتياز حيث تأخذ من أبحاثه مكان الصدارة فكيف أسس هذا الأخير لفلسفة تزاوج بين الرغبة والحرية المناقضة لأخلاق الواجب والتي تقف على هامش جميع التيارات الفلسفية المعاصرة التي عرفها القرن العشرين وكيف أسس لحرية يحكمها الممكن – التعليم – باعتبارها قدرة على الابداع.

الكلمات الدالة: روبرت مرزاحي؛الحرية؛الحداثة؛الفرد؛التعليم؛الرغبة.

مقدمة:

خلافا لمن تكلم فقط من الماسي والاحزان ونظر للتشاؤم، ونظر له هناك من نظر للفرح والسعادة وقد كانت غاية ينشدها الإنسان عامة والفيلسوف خاصة، وقد بات يعتبرها الفيلسوف المعاصر شبيهة بعلم آثار تولد قديم قدم التاريخ الفيلسوف اليهودي الصهيوني الإسرائيلي روبرت مزراحي الذي اتخذ من سبينوزا وسارتر نقطتي انطلاق لفلسفته، فالإنسان مخير وحر ولكنه لا يعرف ذلك إنما يحس ويشعر بأنه يتجه إلى الفعل عن طريق التغيير أو تحويل المعتقدات سواء كانت فلسفية أو اجتماعية أو العادات والأعراف أو حتى ذلك المخزون التاريخي الذي يصله عن طريق الرواية والسرد، أو تحويل منظوره للأشياء لأن كل فعل هو منفذ للكمال وسبيل للسعادة. والتغيير هو تجديد مستمر لتجاوز الإخفاقات المستمرة والمتوالية التي لا تخلو منها الحياة فالفصل يبدأ من الذات، من الوعي وبالتالي يصبح الإنسان هو منبع الحرية كما هو منبع للوعي والعقل، فما هي الحرية عند روبرت مزراحي وما علاقاتها بالسعادة عنده؟ وما علاقاتها بالعمل والإبداع؟

* المرسل: نادية بوجلال.

عرض:

1-من هو روبرت مزراحي؟

مفكر فرنسي، يهودي من أصل تركي، ولد بباريس سنة 1966 من أبوين تركيين، من أم انتهت حياتها في مستشفى الأمراض العقلية وعمره 8 سنوات، وأب خياط ظل يعاني من البطالة إبان الأزمة الاقتصادية العلمية لسنوات 1930، فقد الكثير من أفراد عائلته أثناء الاحتلال الألماني، وتحصل على الجنسية الفرنسية في عمر العاشرة، بدأ تعليمه في الخمسينيات من القرن الماضي بضواحي المدينة، يقول في إحدى حواراته:والدي كاناعاملين، خياط وخياطة، التقيا في باريس، قدما من تركيا، إذن أنا ابن عاملين مهاجرين ولكن وفي نفس الوقت وبسرعة وفي سن السادسة مرضت أمي واختفت من حياتي (أنا فتى)، وفي سن السابعة أنا يتيم الأم وأعيش مع أب بطال لنصف السنة، نعيش في غرفة في المقاطعة الثالثة عشر في باريس بدون ماء، بمعنى طفولة شاقة (Misrahi,www.Lexpress.fr).

وفي سن 13 في سبتمبر 1939 قررت السلطات المحلية إرسال الأطفال إلى المدارس إلى الخلف لحمايتهم سواء من تقدم جحافل الجنود الألمان أو من عناقيد القنابل حيث في قصر خارج المدينة بـ-Maine-et Loire – ، وهنا التقى بمدرسته نشأت بينه وبينها صداقة متينة يقول أنه تعلم منها الكثير"عن ديغول وموزارت، ورومان ورلان وغيرهم" "وهناك دام مقامه لمدة سنة طردوا بعدها من مدير مركز الإيواء".(Misrahi, www.Lexpress.fr). عاد بعدها إلى باريس ليجدالاحتلال والنجمة الصفراء التي قرر نزعها سنة 1942.

في سنة 1943 وفي سن السابعة عشر التقى جون بول سارتر الذي حدثهم عن مدرسة .Raymond Polin

في سنة 1947 دخل السجن لعدة أشهر لنشاطه الصهيوني، في 7 مارس من نفس السنة انظم إلى جماعة إرهابية سترن Stern أو Lehiونفذ عملية في النادي العسكري بلندن أين تسبب في جرج مجموعة من الجنود.ساعده جون بول سارتر على إكمال دراسته العليا في الفلسفة. في سنة 1950 تحصل على الإجازة في الفلسفة بأطروحة حول سبينوزا.

زاول مهنة التدريس بداية بثانوية بالضواحي ثم في ثانوية Louis le grand، بباريس من سنة 1965 إلى 1967 ثم انتقل الى السوربون برتبة استاذ مساعد فأستاذ كرسي في فلسفة الأخلاق والسياسة التي كان براسها Vladimir Jaukélévitele وفي عام 1994 أشرف هذا الأخير على أطروحته للدكتوراه وكان عنوانها " Lumière , commencement" , liberté (Misrahi , Wikipédia.org)، وبالموازاة مع التدريس طور مزراحي مذهبه الفلسفي عبر العديد من الكتابات والمقالات سيأتي الحديث عن هذه الوقفة في ما يلي:

2-مؤلفاته: شرط تفكير الإنسان اليهودي، جوليار 1963

سبينوزا نصوص مختارة ومقدمة، سيغار 1954

مارتن بيجار: فيلسوف العلاقة، سيغار 1964

وفي عام 2009 توفيت زوجته Collette المحللة النفسانية كتبت بعدها سيرته الذاتية التي نشرت في 2012 وعدت أفضل سيرة ذاتية لتلك السنة كما خصصت له مؤتمرا بعنوان "من اجل أخلاق الفرح" بمساعدة جامعة كاين الشعبية التي أنشأها ميشال أونفري. ومازال روبرت مزراحي متواجدا على الساحة الفكرية فيلسوفا وناقدا ومبدعا.

ـــ نور، بداية، حرية، بلو، 1969.
ـ الرغبة والتفكير في فلسفة سبينوزا، 1972.
ـــ ماركس والمسالة اليهودية جاليمار ، 1972.
ـــ الفلسفة السياسية ودولة اسرائيل، موتون 1975.
ـــ بناء القلعة، ج1 معاهدة السعادة، 1981- 1995- 2006.
ـــ الأخلاقوالسياسة والسعادة، ج2 معاهدة السعادة، 1984.
ـــ أ عمال الفرح، ج3، أطروحة عن السعادة 1987- 1997.
ـــ الأخلاق بقلم سبينوزا، الترجمة والمقدمة والتعليقات، 1987-1997.
ـــ ما هي الحرية؟ 1998.
ـــ من هو الآخر؟
ـــ تفلسف مع الشباب، 2015.
ـــ الموضوع ورغبته.
ـــ عمل الحرية، 2008.

* المرسل: نادية بوجلال.

ـــ أفعال السعادة، 2010.
ـــ سعادة الحب، 2014.
ـــ الرغبة الكبرى، 2016.
ـــ فلسفتي، 2018.
ـــ سارتر والخطوات الأولى للحرية، 2017.
ـــ من أجل الآخر، 2019.
ـــ عدن موزارت، 2018.

كما نشر العديد من المقالات في الموسوعة العلمية ومعجم الفلاسفة كما نشر في بداية حياته الفكرية في مجلة Les Temps Modernes ثم في جريدة Libération ويومية Charli hebdo ومجلة Nouvel Observateur.

ليست هذه العناوين هي كل ما كتبه مزراحي ولكنها البعض منها فقد بلغت حوالي 50 عنوانا تعددت مواضيعها وإشكالياتها ولكنها تصب في فلسفة واحدة ما هي؟

3-الخلفية الفكرية لفلسفة روبرت مزراحي:

لقد ظل سبينوزا حاضرا في أفكار روبرت مزراحي الطالب واستمر معه قرابة 85 عاما حيث خص عددا كبيرا من كتاباته لهذا الفيلسوف ومذهبه في الحياة، ولعل إعجابه بسبينوزا سببه نقاط التلاقي في اليهودية والإلحاد ناهيك عن ما صرح به في كتاب مسارات الإنجاز وهو يتحدث عنه قائلا:"بالنسبة لي هو الفيلسوف الأكثر نجاحا، إنه يعلم أن علم الوجود يجب أن يكون ترسيخا للأخلاق.... يجب أن تسبق الأخلاق الأنثروبولوجيا أو عقيدة الإنسان التي تفسر سبب السعي وراء الفرح وهذا ما يفسر إعطاء الرغبة مكانا مركزيا، مثل سبينوزا ويبين لنا أن أخلاقيات الفرح الحقيقي إنما تعتمد على الرغبة التي تستند في حد ذاتها على مبدأ وحدة الإنسان ووحدة العالم" (Misrahi, 2016 , p 129). وبعيدا عن الحتمية السبينوزية يجد مزراحي إلهامه في فلسفة سبينوزا التي يضيف عليها فرقا أساسياألا وهو الحرية الوجودية.

لقد عمد إلى شرح فلسفته في محاضراته وكتاباته بطريقة عميقة وأصيلة وهو في خضم ذلك طور فلسفة خاصة ذات منطلقات سبينوزية فقد استعار منه:

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

ـ وحدة الوجود حيث أن هناك مادة واحدة لها مظهران مختلفان مادة وروح وقد اتخذها سبينوزا قناعا لكي لا يفسر الطبيعة بالله وهذا ما كان مستحيلا في القرن 17.

ـ غاية الإنسان هي الرغبة في الفرح.

ـ الأخلاق.

وعلى الرغم من هذا التلاقح الواضح بين أفكاره – مزراحي وأفكار سبينوزا- إلا أنه كثيرا ما يحاول التوفيق بين سارتر وسبينوزا في مسألة الحرية وسنفصل فيها فيما بعد.

أما المشرب الثاني لفلسفة مزراحي فهو الفلسفة الوجودية لسارتر يقول في مقدمة كتابه Sartre,Robert Misrahi bord de l'eau سارتر مزراحي شاطئ الماء الذي نشره سنة 2017" :أنه بفضل الوجود والعدم- وهو الكتاب الذي قرأه وهو في الثانوية وعمره 17 سنة وأعجب به كثيرا."

يعد سارتر أول فيلسوف حاول التأسيس عن طريق التجربة والعقل للحرية التي هي في أغلب الأحيان استجابة لنداءات مزلزلة أو مطالب شجاعة، وعلينا أن نحلل بالتفصيل هذا الوصف (التعريف) حتى نبرر، نوضح وندعم في نفس الوقت إعجابنا بفكر سارتر وضرورة ما نسمح به في الذهاب بعيدا عن سارتر بفضل سارتر".(Misrahi, Sartre,2017,p75,).

وكثيرا ما أبدى إعجابه به خاصة بعدما قرأ الوجود والعدم حيث انتباه شعوران: الدهشة من جراء دقة التحليل ثم الغرابة، كيف ذلك؟ حين يجمع سارتر – في صفحتين- جميع مواهبه الفلسفية والأدبية، فجاء تعبيره عن الحرية واضحا وثابتا ومتناقضا في آن واحد. يجمع بين الحرية والفرح بمعنى إذا تحققت الحرية استعيد الفرح.

ولم تكن علاقته بسارتر علاقة مفكر بقارئ، بل كانت علاقة شخصية توطدت أواصرها مع الأيام والسنين غذتها محبة الحكمة بدأت مع ذلك الأستاذ الذي نقل لهم نبأ نشر "الوجود والعدم " ذات يوم عندما قال لهم"حذروا هناك فيلسوف مهم سينشر شيئا خذوا خذركم" وبعد قراءته للكتاب قرر أن يلتقيه فكتب له رسالة رد عليها سارتر بعد 8 أيام وحدد موعدا في مقهى Flore "، ومن هنا بدأت مرافقتي له- يقول مزراحي-

* المرسل: نادية بوجلال.

أراه كل شهر وكنت خجولا جدا خجل طالب شاب يكلم فيلسوفه المفضل ... والوجود والعدم بدا لي مؤلف الحرية للقرن 20 وبعد سنوات سمحت لنفسي بنقده نقدا عميقا لأنه لم يفعل بهذه الحرية شيئا" (Misrahi , 2017).

ويقول أيضا مواصلا حديثه شارحا علاقته بسارتر وحتى نقده له عندما سئل عن الكيفية التي انتقد بها سارتر وهل كانت هذه الانتقادات في حياته أم لا؟: "لا أبدا لم أجرؤ، فمع سارتر لم تكن قطيعة بقدر ما كانت بعدا ساكنا هادئا بين متعارضين، وبوفاء لصداقة قديمة، لقد كان نقدي دائما موجه للمؤلف وليس لسارتر الإنسان" ,Misrahi www .Franceculture.fr). وهكذا تحت تأثير كل من سبينوزا وسارتر طور مزراحي فلسفة جمعت بين الحرية وأخلاق السعادة.

4-فلسفته:

يصرح مزراحي في أحد كتبه أن فلسفته أوديمية أي أنها فلسفة للسعادة، وهي إصلاحية إنسانية، فهي من الإنسان وللإنسان الواجب فيها وضع أخلاق للفرح وسياسة للحرية (,Misrahi p139, 2005).إنه يرفض جميع الحتميات ويكافح من أجل إنسان حر، ومنه أصبح كفاحا ضد جميع علوم الأعصاب، وعلوم الاجتماع والفلسفات الحتمية(Misrahi, 2005,p139). وانطلاقا من نظرية راهنة للوعي، وتصور ظاهراتي للحرية وتجاوز لإشكالية الحرية من خلفية سارترية كامية يقترح فلسفة إنسانية للوجود، إنه يقترح فلسفة أصيلة للرغبة الحرة والحرية المشروطة، (,Misrahi p145, 2005).

إن مزراحي يدعو لتأسيس أخلاق دون ميتافيزيقا ترانسندتالية، حيث طور نظرية للموضوع ونظرية للرغبة ونظرية للآخر، وكلها ذات ضرورة منهجية لبناء مذهبه القائم على الأنا، الآخر والعلاقة، ليستمر في تأسيس نظريته خول الحرية وعلائقها المختلفة، ومن أهم التصورات التي استعارها مزراحي من السابقين عليه وطورها ومنها العاطفة التي شكلت رابطا بين أخلاق سبينوزا وبين الاتجاه العام لفلسفته، والفرح الذي تتماهى فيه أخلاق سبينوزا وفلسفته الأخلاقية والرغبة وموضوعها حيث يستعرها من سبينوزا الرغبة جوهر الإنسان

ويعتبر نفسه الوحيد الذي استطاع إدراك مركزية الرغبة في المسألة الأخلاقية.

وتشكل الرغبة أقوى حركة للإنسان نحو المستقبل القريب والبعيد إنها ديناميكية نحو التقدم والازدهار تنطلق من حاجة إيجابية أو سلبية نحو الرضا أو الاكتفاء، وينجر عنها أفعال أو حركات أو توقعات. والرغبة تخلق رغبة فهي مكتفية بذاتها تتغذى وتلد ذاتها، فالرغبة شرعية تنشد.

إنها تتغذى وتتقوى بتلك الوسائط المرضية التي نصادفها في طريقنا إلى تحقيق هدفنا من الرغبة، وهناك أيضا أفراح ولذات في مسار النشاط، والرغبة في آن واحد هي تفكير ووعي، الرغبة وعي مصاحب لفعل رغب وأخيرا الرغبة حرة ولأنها حرة وواعية لذاته فالموضوع المرغوب فيه يستطيع أن يرغب بطريقة وكيفية راقية.

أما التصور الرابع فهو التحويل وهو فعل يستلزم أفعالا أخرى ويعني التأسيس أو الإنشاء، والتصور الخامس وهو حب الآخر أيا كان.

لقد رسم مزراحي لنفسه اتجاها فلسفيا يرتكز على دعامتين أساسيتين الرغبة والحرية وعلى أخلاق للفرح وغاية هي السعادة، وبذلك وقف على النقيض من أخلاق الواجب ليكون على هامش التيارات الرئيسية للفكر الفلسفي للقرن 20.

5-رأيه في الفلسفة:

يقول مزراحي في حوار له أن الفلسفة لها أهمية كبرى، فهي مهمة وضرورية للعيش الأمثل، وهي ليست تفكيرا مجردا فحسب بل هي بكل بساطة جهد في التفكير يمارسها الناس جميعا خاصة من لهم الرغبة في التفكير في الحياة" (Misrahi,www.lexpress.fr).

التفكير الذي يخرج من العفوية إلى التفكير القادر على التغيير تغيير عاداتنا في التفكير وذلك بالبدء بإثراء التغيير بنقد العقل الديالكتيكي وهذا ما كان عنوان أحد كتبه وفيه تناول العديد من المفاهيم معتبرا إياها أهم خطوة يقوم بها الفيلسوف بعد أن أنكر ما أكده الفلاسفة في هذه الحقبة كالحتمية التاريخية واللاوعي الفرويدي والماركسية والبنيوية وكذا الرأسمالية التي تقبلها الكثير غير مدركين أن قوانينها تفرض ذاتها بمعنى أنها تخضع لحتمية لأن فائض القيمة الذي يبحث عنه الرأسمالي ليس ضرورة فالذي يقبل بالأجر ثم يناقش قضية زيادة الأجر هو في

* المرسل: نادية بوجلال.

حقيقة الأمر قبل الأجر أصلا إذن هو قابل للرأسمالية. (Mizrahi, 2009, pp135-150).

لقد تتبع مزراحي دروسا كثيرة بدأها جون بول سارتر وفلاديمير كون جليفيتش وغاستون باشلار وموريس ميرلوبونتي قبل أن يصبح أستاذا يقدم هو الآخر دروسا ويكون تلاميذا أمثال ميشال انفري Michel Onfray وقد كان التيار واضحا من جونكيليفتس V ,Jau kélévisher إلى M . Onifray يصبو إلى جعل الفلسفة عامة وشعبية وقابلة للفهم والاستيعاب تخاطب الخاص والعام، النخبة والعموم...، (Mizrahi, 2009, pp135-150).

ومن هذه البدايات كان مقصد الفلسفة عنده بناء للحياة الخاصة للإنسان وتوجيه أفعاله، ولابد أن تكون الفلسفة حكمة تطبيقية تؤسس لطريقة في العيش (Mizrahi, 2009, pp135-150)، ويدعو إلى وضع أهداف موضوعية محددة من صميم الطبيعة الإنسانية تتماشى مع وجود الآخر.

5.1. الرغبة والسعادة أية علاقة؟

لماذا تعود السعادة كغاية إلى الواجهة بعد ما كانت منتهى التحصيل عند فلاسفة قدماء سواء كانت في هذه الحياة أو في حياة أخرى؟ ولماذا اختلفت أصلا عند الفلاسفة المعاصرين؟ ولماذا سقطت من حساباتهم؟

إن فلاسفة القرن العشرين بحسب ما ذهب إليه مزراحي لم يولوا اهتماما كبيرا للسعادة لأنهم رأوا أنه من الأفضل الاهتمام أولا وقبل كل شيء بما ميز القرن 20 وما ميزه أكثر: الشفاء، الموت، الحرب، الاضطهاد، التدمير، وبما أن الفلاسفة المعاصرون متأثرون بشوبنهاور وهيجل، وهيدجر، وسارتر ناهيك عن اعتقادهم أن فلسفة التشاؤم أو التراجيديا هي الأكثر تعبيرا وترجمة لأحزانهذا الزمن ومآسيه، ولا يكتفي بعرض الحال فقط بل يحدد موقفه بصرامة بشيء من التحليل حين يقول: "أنا شخصيا أعتقد العكس ليس من أجل التضاد فقط أو الإشارة فهذا غير كاف، بل لأنه يتبادر أولا لأذهاننا سؤالا مهما وهو: لماذا نحن جميعا بؤساء ولا نحارب البؤس والظلم والحرب؟ فنحن لم نسأل لماذا ولكننا قبلنا هذه الأمور واعتقدنا أنها بديهية في حين أنها ليست كذلك، (Eric, 2012).

وإذا كانت هذه الأشياء غير بديهية لماذا نقبلها ونقوم بها؟ لماذا نقبل البؤس والظلم ونحارب ولماذا نصدر أحكامنا عليها؟ لأننا بكل بساطة شعرنا أن الحرب لا يمكن أن تكون تتويجا لحياتنا وأنها من المستحيل أن تعطيها معنى وإذا كنا نعيش حياة البؤس، الشقاء والحروب فهذا لا يعني أننا لا نعلم أنها ليست ظلما لأن هذه الأمور أو الشقاء أو الفقر أو التفكك أو المرض تعبر عن الوجود الإنساني الذي من جوهره العيش وفق الرفاهية والرخاء والفرح والعيش الجميل، وهنا فقط تتدخل الفلسفة التي تقودنا وتعلمنا كيف نفاضل بين الرغبات المؤدية إلى السعادة، والفلسفة هي التي بإمكانها التساؤل حول الموضوع وحول موضوع إرادتنا- ماذا نريد نحن البشر؟ فلا أحد يتساءل حول العلاقة الموجودة بين قيمنا ورغباتنا وطبيعتنا وماهية هذه الطيبة ولماذا نحن دائما نرغب في الأفضل، في حياة أخرى، لابد أن نتساءل لماذا نرغب؟ ولمن نرغب في تشييد حياة أخرى؟ بمعنى لابد من بحث في موضوع الإنسان- ما هو الإنسان؟

ويرى أن الفلاسفة المعاصرين عوضا عن طرح هذا التساؤل حول ماهية الإنسان؟ يكتفون بالقضية التالية: هناك بشر يعيشون البؤس ويجاهدون من أجل البذخ.

ويعني مزراحي بالإنساني هو ذلك الذي يعني ذاته حتى وإن لم يكن يملك معرفة متكاملة وواضحة للحياة بجميع ما فيها من حركة وسكون، والوعي بالذات عنده ليس تحكما في الذات ولكنها حدسي للذات وكينونتها في العالم بوجودها وتحديد المسافة التي تبعد بينها وبين الناس جميعا أو الذات الأخرى، وفي نفس الوقت لسنا ذواتنا أو الذات الأخرى، وفي نفس الوقت ليست ذواتنا سيدة لنفسها عاقلة وسعيدة، فقد يكون الكائن البسيط القادر على العيش في حالة من الجهل إنه واع لحياته وأدوارها وأنه يرغب في شيء ما والحقيقة أنه يقبع هناك تحت العنف غير مدرك لما يريد وفيما يرغب.

5.2. الرغبة محور الطبيعة الإنسانية:

يرى مزراحي أننا لا نختلف بيننا عندما ننتهيإلى القول أن الهدف من أفعالنا تحقيق غايتنا أو نتيجة ما وعليه لابد أن تكون مسار رضى سواء كان عاجلا أم آجلا، صغر أم كبر ولذا فجميع تصرفاتنا تنشد غاية ما،

* المرسل: نادية بوجلال.

مما يعني أن الرغبة جوهر الوجود الإنساني، وفي نظره أن سبينوزا هو الفيلسوف الوحيد الذي ذهب إلى تحديد معناها بهذا التماهي بينها وبين الإنسان فهي جوهره وبذلك يختلف مع كانط أو ديكارت ولا يذهب مذهبهما في أنها الشيء الذي يجعل الإنسان ضعيفا، تابعا ومغتربا.

ولا يتوقف مزراحي عند هذا الحد وعند سبينوزا بل يذهب إلى أبعد من ذلك متجاوزا أفلاطون وسارتر ولا كان أولئك الذين يعتبرونها شيئا ينقصنا نبحث عند تلبيته وننشد تحقيقه وهي كذلك حتى في القواميس التقليدية والحديثة بل هي امتلاء ذواتنا أو إشباعها، إنها لحظة قوة وليست لحظة ضعف واستسلام. وهي ديناميكية تحثنا إلى الحركة نحو الاستلاء أو الإشباع أو الاكتمال، وهذا الاكتمال قد يكون بسيطا كالأكل أو السفر أو معقدا أكثر أهمية وأكثر حيوية وهو ما نسميه سعادة. ومن هنا يصل إلى نتيجة يعتبرها حقيقة مطلقة وهي: أن كل إنسان يبحث عن السعادة. وهي نتيجة ملزمة لمسلمة: أن كل الكائنات ترغب، والرغبات تبحث عن الإشباع، (Misrahi , 1983 , p 45).

وفي نفس الوقت لا ينكر وجود منافسة بين الرغبات وما يؤدي إلى الصراع بين الأفراد إذا عمل كل شخص على تلبية رغباته وهذا ما أدى إلى القول أن الحرب جوهر الإنسان.

وعندما يسال عن إمكانية تحقيق السعادة في هذه الحياة (على الأرض) وليس في الما وراء؟ تكون إجابته بالإيجاب والإمكان ولكن ليس في الآن ذلك أن حياتنا كلها هي عبارة عن إخفاقات مستمرة ومتواصلة حتى إن فرضنا أن كل فعل نقوم به وكل وعي هو خطوة نحو الكمال وبالتالي نستنتج أن هناك دائما شيء ما نقوم به مجددا. وهذا ما يقودنا إلى ثاني مبدأ في فلسفة مزراحي وهو التحول أو التغيير.

5.3. التحول أو التغيير:

لماذا يعتبر التغيير حجر زاوية في فلسفة مزراحي؟

إن مزراحي يؤسس لنظرية في الفعل لا تتحقق إلا عن طريق التغيير، تغيير الذات، فقبل الفعل الخارجي هناك فعل داخلي تغيير للعقل الإنساني للذات الإنسانية قبل الذوبان فيها. والسعادة عنده ليست نظرة ضيقة للحياة لحياتنا ومن ثمة نحكم عليها أنها ناجحة بل لابد أن تكون

تجربة ملموسة. أن تكون السعادة تجربة ملموسة بمعنى أن تكون عشتها في الماضي فحسب، وأستطيع أن أكررها في المستقبل، وتجارب السعادة هذه عندما تجتمع تشكل مادة السعادة.

ويحاول أن يطبق هذه الأفكار ويسقطها على حياته الخاصة ليستخرج منها لحظات السعادة جازما أن حياتنا نحن نصنعها ونبنيها شيئا فشيئا بأفكارنا ورغباتنا المستنيرة بالفكر وهنا ما عاشه فعلا في حياته حيل جميع قراراته جاءت وفقا لتلك الحرية التي كان يتمتع بها من نزع النجمة الصفراء إلى الاهتمام بالدراسة على الرغم من الوحدة والفقر وقد استطاع أن يستمد من تلك التجربة الوجودية القوية للفرح لأن هناك صداقة- صداقة المدرسة ثم صداقة سارتر ثم عمل ومأوى ومستقبل مفرح، (Misrahi, 1999, p 67,69)، لكن ما معنى تغيير الذات؟ وكيف؟

لا يعني مزراحي بالتغيير قرار القيام بأي فعل أو القيام بفعل دون غيره، وهو لا يختار هذا المصطلح من الدين بقدر ما يختاره من الفلسفة وبقصد به أولا قلب التوقعات القديمة أو بمعنى آخر الأحكام التقليدية التي تسرعنا في إصدارها حول الذات خاصة إيماننا بأننا نتيجة حتمية ما، أجسادنا ووعينا حتمية فرضت علينا.(Michel,2018) وعلينا أن ندرك ونفهم جيدا أننا منبع للمعنى والحرية.

وعندما يسأل مزراحي على أهمية العوامل الاجتماعية والثقافية في حياة الفرد وفي تشكيل الذات وما نصيبها من التغيير؟ وهل هي حتمية تفرض نفسها أم لا؟

يرى مزراحي أن الحتمية الاجتماعية أو الثقافية أكبر دليل على أن هناك قوى خارجية تفرض نفسها علينا، ويعتقد الناس جميعا – للأسف- أنها بديهيات وأننا سنظل تحت تأثير هذه العوامل الخارجية كقوانين الاقتصاد مثلا؟ ولكن كيف ذلك؟ أليست هناك قواعد للتبادل سواء تلك المبادلات البسيطة التي تجري في الحياة اليومية بواسطة النقد أو تلك المعقدة وحتى المضاربة فهل هناك تشريع يضبط هذه المعاملات؟ أليس التشريع والقوانين ماهي إلا قرارات اتخذت من طرف سلطة إنسانية أو هيئات منتجة بطريقة سيئة، إذن هناك دائما تشريعات هي بمثابة تنظيمات ذاتية اختارها الإنسان وفرضها على ذاته.

* المرسل: نادية بوجلال.

أما النوع الثاني الذي يطالب بالتغيير فهو التغيير المتبادل فبعد أن يتغير الشخص ويدرك أنه مبدع للقيم، ومبدع للمعاني والدلالات، خالق لأفعاله وحريته، جميع أفعاله العاجلة الآنية وهي طبيعية ونظرية وعشوائية في آن واحد والفرد وحده من يملك القرار، قرار الشراء من عدمه لا الاقتصاد ولا المصنع، إنها الرغبة رغبته إلا حين يرغب، وإذا كانت هذه الأخيرة هي تغيير في المعتقد أو المنظور فالثانية يبدو فيها التبادل بين طرفين فإذا نظرنا إلى أرباب العمل ومرشحي الانتخابات نجد أن كلاهما يعتبر الآخر وسيلة خاصة فالصانع يريد منه أكثر إنتاجا، والمرشح يريد من المنتخبين أن يكونوا على استعداد للانتخاب، فالأخر ليس شيئا إنما هو وعي ووعي مطلق مصدر للقيم والحريات، فهو ذات أقيم معها علاقات متبادلة وليس علاقات حسابية وهي تملك العلاقات الأولى التي تتشكل من خلالها المجتمعات وهي التي تجمع بين الأفراد، يقول عنهم: "مجموعة تلتف حول مجموعة أخرى يتخاصمون على حقل أو غابة، ويتحاربون فيما بينهم، تحاربني أحاربك، تضربني أضربك، وبعدها شيئا فشيئا يصغون القانون أو يتواضعون على تشريعات معينة تكفل لهم الحقوق وتلزمهم بالواجبات وكأنهما في مرآة". (Misrahi, 199, pp 79- 80).

في المركز ليس مركزا يبتلعني، يعدمني، علينا أن لا نصبح سجناء الآخر، عليه أن يكون ندا مطلقة لكن لابد أن يبذل مجهودا ليثبت أن الذات مطلقة لأننا لسنا بداخله، ونؤكد أنه مثلنا جوانية قوية وكأنه ارتداء نحونا فنحس بالامتلاء ويكون التبادل حقيقيا تنتج عنه الصداقة والحب والتلاحم بين أفراد المجتمع (كما ذهب إلى ذلك أفلاطون وأرسطو).

ويخلص إلى نتيجة وهي ضرورة التوقف عن الاعتقاد أن كل شيء من حولنا حتمية سواء الاقتصاد، المجتمع، التاريخ أو اللاوعي، واعتبار الآخر وسيلة لخدمتنا وليس غاية في حد ذاته.

وبعد هذا يقودنا إلى التغيير الثالث وفيه ينطلق من مسلمة مفادها أن حياتنا تمتد من الميلاد إلى الموت ولا وجود لما بعده وهي على قصرها أو طولها لم توجد للشقاء كما أوهمونا، والحرب ليسا قدرنا أو قدر الإنسانية ودليله على ذلك:- لا يدخل الجميع في حالة حرب فهناك من

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

يرفض الحرب والظلم، أما الشقاء فهو كينونة داخلية سلبية نرفضه جميعا، وهو كذلك لأننا نرفضه، ولو كان يعجبنا ونسعى إليه لا يكون شقاء ونحن نحاربه ونتجنبه لأنه ليس حالة طبيعية فليس من الطبيعي أن نكون أشقياء.

وجودنا ما بين الميلاد والموت ولا وجود لما بعده لأن ما هو هنا ليس هناك فالتجربة عليه لا نملكها وبالتالي فنحن الذين اخترعنا وجود عالم الماورائي، هذا من جهة ومن جهة ثانية أن وعينا وعي أجسامنا وعندما تختفي أجسامنا يختفي معها الوعي وتصورنا لله تصور ملؤه التناقض وبما أننا نعيش حياة واحدة وعلينا تغيير كل ما هو محبط وكل ما يعيق رغباتنا ولهذا الغرض لابد أولا من تغيير عاداتنا، ولن نخاف الموت، لن نخاف حتميتنا ولن ندخل في حرب وصراع مع الآخر. وبما أن البؤس والشقاء ليس قادرا علينا أن نؤتي أي شيء يقودنا إلى السعادة من استكمال رغباتنا جيدا وهذا الاستكمال هو ما اسميه الفرح، (Misrahi, 1999, p90).

مجلة مشكلات الحضارة

* المرسل: نادية بوجلال.

6-الحرية أو القدرة على الإبداع:

لا يوجد حد فاصل بين الرغبة والتغيير والسعادة والحرية تتداخل وتتشابك حتى لا نكاد نتبين أولها من آخرها حتى وإن بدت أن بعضها مقدمات لنتائج أو علاقة نتيجة لسبب، خاصة أن مزراحي في كتاب له بهذا العنوان (الحتمية أو القدرة على الإبداع). ينطلق من التأكيد على أن الحرب هي ما يميز الكائن الإنساني وهي جوهره، وجودها وجود قبلي سابق لكل فعل، لكل سلطة ولكل معرفة ولكن هذه السمة الأولية لا تكاد تقارن بالحرية كفعل مفكر فيه تقود الى السعادة ومنها إلى الخلق والإبداع وهي وحدها القادرة على التغيير.(Misrahi, 2014, p32).

في كتاب له حول سارتر والذي عنوانه: "سارتر مزراحي يعود إلى الوجود والعدم الذي شده إليه تأكيد سارتر على الحرية ليس من حيث الوجود فحسب بل من حيث أنها معنى ودلالة وهذا ما غاب عند غيره ولكنه يأخذ على سارتر تلك الحلقات المفقودة من الوعي بين لحظات الزمن(الماضي، الحاضر، المستقبل) حيث لا يمكن التنبؤ في اللحظة الحاضرة بما سيحدث في اللحظة التي تليها. إضافة إلى فكرة الحرية المطلقة التي روج لها سارتر في خضم الإيمان بالفشل والحزن والكراهية أو الحب ليسجل ملاحظة في نهاية الفصل الخاص بالتشاؤم وهي أن: حالة التشاؤم قد تترك مجالا للتسامح والرحمة بمعنى الأخلاق التي لن تتحقق إلا في غضون التغيير أو النجاح في حين ينعدم عنده الترابط بين هذه الأشياء وتأتي أحكاما مبعثرة، ولذلك يرى مزراحي أن كتاب " سارتر، مزراحي" جاء انبهارا ونقدا(Misrahi, Sartre,2017 ,92) .

سارتر لم يستطيع أن يدلي به مرحلة الشباب احتراما وتقديرا له وأكثر ما يشده على الموضوع تحديد طبيعة الحرية والحفر في معناها يضع كشرط للحفر في مفهومها الإجابة على سؤال محوري تناسى سارتر طرحه ألا وهو الغاية من الحرية ماذا نفعل بها- وهنا يعطي مثالا بنفسه وهو ذلك الشخص الذي لم يكن شيئا استطاع أن يدرس سارتر وسبينوزا ويتجاوزهما ويصبح أستاذا في السوربون.

أما النقطة الثانية التي أخذها بالنقد فهي أفكار سارتر وجود الموضوع وهناك حالات وكيفيات لا تتواصل بينها (حالات نفسية ومراحل

المجلد 10 العدد السنة 2022 ص ص: 55-74
ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

عمرية) وهذا مالا يقرره مزراحي عندما يضرب لنا مثلا بشخص يتسلق حائطا، فهو ذات والحائط موضوع والذات تقوم بفعلي التسلق، ولن يكون الشخص حرا إلا إذا أدرك أنه هو من يقوم بالفعل وليس شخصا آخر ويستذكر أنه هو من قام بذلك وهذا مالا يحدث مع مريض الزهايمر الذي يقفز من لحظة إلى لحظة أخرى.

يقول: "من هنا أسست مذهبي في الحرية بدأتها ببناء نظرية حول الموضوع، فنحن ذوات تخضع للديمومة كنا ونحن وسنكون وهذا هو الوعي وهو حر، ولكننا في اللحظة مثلا لا نستطيع أن نتنبأ بما سيكون، فالذات تخضع للديمومة ولكنها لا تعلم ماذا ستفعل بعد لحظة ولكنها تحي ذاتها جيدا كالرسام الذي قد لا يعلم في لحظة ماذا سيفعل ثم يأتيه الإلهام فيبدع .... وكل ذات واعية حرة وكل حرية وعي والوعي هو ما اختلف حوله الفلاسفة الذين عرفوا الإنسان على أنه الكائن العفوي (يدرس- يقرا- يرسم...الخ، (Misrahi,www.Lexpress.fr).

في حين أن خاصية الكائن البشري أو الإنسان وهو التفكير، التفكير في ذاته وإذا توقف عن فعل ذلك تكون أفعاله وتصرفات خالية من العقل، قد يتوقف هنيهة ثم يعود في لحظة يمارس حريته، وقد تتصرف بطريقة عفوية ولكننا لسنا في الطريق السليم دائما فقد يتصرف بحرية ويصيب وقد يخطئ.

إذن هناك مستويين من الحرية: نفعل كل ما نريد وهنا قد نخطئ فالكثير من أفعالنا العفوية تؤدي الى الفشل وكما هو الحال عند المراهق مسنودة على قرارات عفوية.

احترام القانون في لحظة إتيان الفعل لا يحد من حريتنا بل القانون ضرورة.

ما هي أهداف الحرية؟ إن الحرية من المستوى الأول تأتي من سلطة الذات الحقيقية، السلطة المبدعة، فسلطة القرار هي سلطة الإبداع ولكن هذه الأخيرة كثيرا ما تكون عمياء ولذا لابد أن تستنير بالعقل حتى تحقق الأهداف العليا ولكن يصادف العقل أو التفكير معوقات أو صعوبات منها:

قوانين الاقتصاد التي تتحكم في السوق والتي لا يمكن تجاوزها، تسيطر علينا وتوجهنا وتحد من إراداتنا وأفعالنا، وهي في الحقيقة قد

* المرسل: نادية بوجلال.

وضعت من أجلنا كالأسعار مثلا التي تحددها البورصة وهي قوانين تحيط بنا من كل جانب نعيشها ولا نراها، وهي قوانين تبدو أنها أوتوماتيكية إلا أنها قوانين تتحكم فيها السياسة والأفراد. فأسعار السيارات مثلا التي يهيأ لنا أنه يحددها قانون العرض والطلب، ولكن الحقيقة أن كل الاقتصاديات ماعدا السوداء منها قرار إنساني مستقل، والكل يعلم أن أعضاء المجالس والهيئات أحرار ولكنهم يقررون اليوم قرارا يبطلونه غدا بكامل حريتهم وسنجد أنفسنا عاجزين عن شراء سيارة في وجود من انتخبناهم وهكذا فالصعوبات التي تعترضنا نحن من أبدعناها.

ـــ في اليومي العراقيل الوحيدة التي تواجه حريتنا من وضع حريتي وحرية الآخر، والحرية قسمة بيني وبينه، أنا أنتخب الأخضر والآخر سينتخب الأزرق مثلا لذا لا يجب أن نكون متشائمين. إنها عراقيل من إنتاجنا تختفي وتظهر أخرى إذا غيرنا أهدافنا، إذن أفعالنا ومصائرنا بأيدينا، ما الهدف والغاية من التفكير في الحرية؟ وكيف نصل إليها؟ ولماذا أصلا؟

الغاية هي تحقيق أكبر قدر من الحرية لأكبر قدر من الناس، والوصول لأكبر سعادة لأكبر قدر من الناس. إننا من يعين وينتخب من يحكمنا من يقلل من حريتنا، ونحن من يعين من يسرقنا، ننتقد الرأسمالية ونحن الرأسماليين.(Misrahi , 2008, p 27)

وقد يتضح هذه الفلسفة وهذه الدعوة إلى الحرية والسعادة من خلال كتاب وجهة الشباب"الفلسفة مع الشباب معتبرا إياه حياة الأمة ومستقبلها لذا وجب معرفة طبيعته، تثبت ذاته وحريته عن طريق التعليم وحبه للدرس تساعده السياسة بتذليل العقبات، وتبني قيم جديدة ومهام جديدة عن طريق بناء مجتمع متحضر خالي من الهموم يؤسس لسعادة جديدة بتشخيص أمراضه والقضاء على معاناته وضبط قدراته الإبداعية ومستويات حريته إلى أن يبلغ به ما وراء المدينة الفاضلة، (Misrahi , 2015, pp37-40).

7.خاتمة:

مما تؤكده أفكار مزراحي تلك المحاور المهمة التي تسطر مسيرته الفكرية وتتفرد بها نزعته الفلسفية وهي البحث عن السعادة كغاية

وهدف في الحياة وفرح الدائم الآني، ويرفض الشقاء والماسي والحروب حتى تلك الثورات التي يراد منها التخيير لأنها تخلق ثورة مضادة، كما يرفض كل إيمان بالحتمية مهما كانت طبيعتها وبجميع صورها تاريخية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو نفسية. وينكر الميتافيزيقا والحياة ما بعد الموت لأننا لا نملك تجربة عنه ولم نعايشه.

مقابل هذه المحاور يؤكد مزراحي على العمل وفق الإطار العام للأخلاق حتى تتحقق الذات يكون الآخر فيها مصدرا للقيم والحريات أيضا يحتل المركز معي وليس الهامش، ولكنني لا أتركه يلغيني ويبلغ ذاتي وبذلك يخلص إلى نتيجة وهي أن حياتنا استكمال لرغباتنا ولابد أن تكون كذلك وهو ما أطلق عليه سعادة السعادة الآنية الحاضرة لا هي في الماضي وحده ولا في الحاضر فقط ولا رهينة المستقبل بل هي في جميع لحظات الحياة وهي في أدنى صورها أدنى مستوى من الثقافة من الفلسفة لفهم لوحة فنية أو قطعة موسيقية أو قصة أو فلم أو رواية، وهي حرية عمل وإبداع.

8. قائمة المراجع:

1. Eric De wulf. Robert misrahi et le bonheur, You tube 19_ 10 2012 .
2. Michel duffé.2018, **Robert Misrahi, naissance d'un philosophe** , *philo contemporaine*.
3. Robert Misrahi , Wikipédia . org, 2020 /02 /28
4. Robert Misrahi, **Nous somme source de signification de liberté « l'express**, http : www.lexpress.fr14/12/2012 .. 12:30 ،2021/3/2
5. Robert Misrahi, Sartre.2017, **Robert Misrahi, le bord de l'eau ; étude et style,** Gallimard, Paris.
6. Robert Misrahi, **trigraphe, actualité** et emissions France culture, www .franceculture.fr27 / 11 / 2019.
7. Robert Misrahi. 2009, **Gestalt**, N36,pp135-150 transcription de Françoise Rossignol

* المرسل: نادية بوجلال.

8. Robert Misrahi.1983, ***traite de bonheur, éthique politique et bonheur***, Gallérie, Paris.
9. Robert Misrahi. 1999***, qui est l'autre***?, Armand colin,Paris.
10. Robert Misrahi .2005, ***100 mots sur l'éthique de Spinoza,*** en rond, Paris.
Robert Misrahi. 2008, **le travail de la liberté**, WIKIPEDIA. 22 / 04/ 2020.
Robert Misrahi.2014, ***la liberté ou le pouvoir de créer, autrement***, Paris.
11. Robert Misrahi. 2015, ***philosopher avec la jeunesse, Ancre*** Messine, Paris.
13.Robert Misrahi**.**2016***, les vois de l'accomplissement***, encre marine, Paris.